

الخطاب والتلقي في الفلسفة- تطور اللغة والحجاج

Discover and receive in philosophy
The development of language and argumentationطالبة الدكتوراه: حمزة شريف نسيم¹¹ جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها -

الجزائر. nassimaphilo13@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/10 تاريخ القبول: 2023/08/12 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: إن طبيعة الإنسان الاجتماعية تحمله على لتواصل مع الغير. في هذه العملية يقتضي إنتاج خطاب فاعل بين الملقى "الخطيب" والمتلقي "المخاطب" ولما كانت غاية الفلسفة التحاجج ومنطلقها الأساسي العتيق، فغن هذه الإرهافات تحمل تطورات عديدة ارتبكت باللغة الإنسانية الطبيعية التي تعتبر مركز الحجاج الفلسفي القائم على الحجة المثبتة للأطروحة الفلسفية. وهنا تظهر ضرورته من حيث المبدأ والفعل والتحقق الواقعي.

كلمات مفتاحية: التواصل، الحجاج، الحجة، الخطاب، الخطيب، المخاطب.

Abstract: The social nature of man leads him to communicate with other. in the process an active discourse is produced between the speaker « the orator » and the speaker « the addressee ». And since the purpose of philosophy is argumentation and its basic starting point in philosophical history. These Precursors bear many developments associated primarily with human language. The natural language, which is the centering of philosophical arguments based on the argument proving the philosophical thesis itself. Here is its necessity in terms of principle. Action.

And realistic verification defended. Argument between the opposing parties become the focal point of the argumentative

process. Where is no room for the absolute and the constant. But for the potential and the variable.

Keywords: Communication. Argumentation. Argument discourse. Preacher. Addressee.

***المؤلف المرسل:** حمزة شريف نسيمة

1. مقدمة: لسنا لوحدها في هذا العالم. " لسنا لوحدها في العالم"، قولة تستحق أن نستهل بها مقالنا هذا من حيث أبعادها الدلالية العميقة التي تقضي بطبيعة الإنسان الاجتماعية والمدنية التي ارتبطت تاريخيا بأولى التجمعات البشرية لتعلن ميلاد الإنسان الحضاري الذي حدد الجماعة اللسانية التي ينتمي إليها بما تحويه من مقومات فكرية ولغوية، باعتبارها تمثيلا صريحا لوجود أصيل يرتبط جغرافيا بمكان ما دون غيره، الأمر هنا لا يقتصر فقط على الارتباط الجغرافي أو العرقي، بل أبعد من هذا: البعد الفكري والاصطلاحي للسان قوم محدد بأجديات وأصوات وتراكيب. إننا نتحدث على اللغة موطن الوجود وسكنه الخالد ، بحمولتها : الصوتية والتركيبية المجسدة للبعد الإبداعي فيها والسحر الذي تطلق بشائره في الاحتواء. والقولة الافتتاحية تحمل بعدين هامين: البعد الذهني النفسي التعبيري، البعد الاجتماعي التواصلي.

بخصوص البعد الأول: البعد الذهني النفسي التعبيري: هذا الكائن البشري الذي قذف به في هذا العالم حسب الفلسفة الوجودية، وجد نفسه وجها لوجه مع كائن بشري آخر يتقاسم معه سماته البشرية. والمواجهة لا يقصد بها العداء بل يقصد منها التقابل والتعارف الذي تفرضه الطبيعة البشرية من حيث هو ذات أصيلة متفردة في أصلاتها تميل ميلا نحو الغير، تتأثر به وتؤثر به.

أما عن البعد الثاني: الاجتماعي التواصلي: فالطبيعة النفسية السليمة تقضي الميل نحو الآخر والتواصل معه عن طريق الحوار ومن ثمة التعرف على الغير المختلف المماثل له. إن التواصل يكون باستخدام إيماءات وإشارات طبيعية

الخطاب والتلقي في الفلسفة، تطور اللغة والحجاج

وأخرى اصطلاحية بدلالاتها. ورمزيتها ترمي إلى صناعة الكلام وإنتاج الخطاب أي فتح آلية للمعرفة والاتصال، للتواجد الأنطولوجي باللجوء إلى اللغة.

هذا التلازم والتماثل كونه القاعدة والأرضية الفعلية المؤهلة للتواصل يستدعي حضور اللغة ككيان ونسق متكامل قائم على أصوات وإشارات وألفاظ ورموز وجدت للتواصل، وكوسيلة للتعبير عن حاجات المرء واستيعاب مقاصد الغير. إذن، وجدت اللغة ووضعها الإنسان من أجل التفاهم بعد استحالتها. فما كان له أن اتجه إلى وضع الكلام واللاكتفاء بإصدار الأصوات إلى صناعة الخطاب تحقيقاً لقيمتها المعرفية والتواصلية على حد سواء. فضلاً عن أن الإنسان نجح من أن ينقل نفسه من الطور الغريزي إلى الطور الإبداعي إلى طور الإنسانية بوصفه متحدثاً، مخاطب لغيره منتجا للتخاطب والقيم. وعليه نطرح إشكاليتنا الكبرى: ماهي التحديات التي ترفعها وتفرضها على نفسها اللغة الإنسانية؟ وهل من المعقول أن نعيد النظر في ضرورة اللغة ومهمتها، بدلا من القراءات التقليدية السطحية؟ ماذا عن حضور القول والكلام؟ وما دورهما في إنتاج الخطاب والمرافعة لأجله؟ ماذا عن الحجاج؟ هل تمكن من وضع أبجديات لغة جديدة، تحدد الإمكان والاستحالة؟

2. اللغة الإنسانية ورهان الوجود: اعترافا بضرورة اللغة والخطاب والتفاهم بين الجماعة اللسانية الواحدة والمتعددة وضع الكلام الحامل معنى ومبنى وليس مجرد صوت تصدره أحبال صوتية ومخارج حروف تتحكم في سلاسة النطق أو عضو حسي "لسان" يفعله. مفهوم اللغة ليس تقليدياً أبداً: أصوات، إشارات، رموز... إنه أعمق وأجل دلالة: إنها تعبير عن الفكر، إنها تجل لماهيتها وجوهرها الفذ من

شخص المتكلم المخاطب إلى المخاطب." اللغة مؤسسة العلاقات، فالناطق يعطي أثناء استخدامها شيئا من نفسه"¹.

مرتبطة كل الارتباط بالوجود الإنساني بمنحها إياه السر، قدمت له إمكانية قراءة وفهم الطبيعة الفيزيائية والإنسانية من جديد. ومن ثمة، قراءتها بذاتها كتقنيات لها استراتيجياتها، قراءة جميع الخطابات.

وعليه، وباعتبار اللغة مؤسسة بالمعنى الكلي، فما يحكم منطق العلاقات الإنسانية هو التواصل لا منطق القوة والاستحواذ. فاللغة تتجاوز حيز التأثير القسري والعنف اللغوي على رحابة الاستدلال على القول أو الطرح. فتبني طرح ما وخصوصا الأطروحات الفلسفية يستلزم فاعلية الذوات لا القبول المطلق لحقيقة بعينها دون الأخرى. أي أن الخطابات عديدة بتنوع المعارف الإنسانية وعلومها. إذن تصبح اللغة تمظهرها لسؤال الوجود ومرآة عاكسة للخيال النفسي الفردي والاجتماعي ذلك أن إنتاج الكلام والخطاب يكشف فعليا حقيقة الإنسان في إمكانية وضع خطابات تمس الإنسانية بأجناسها. فلا بد أن تكون اللحظات الطفولية مجسدة طوال مراحل الإنسانية في الهدم والبناء والتي تقتزن بصفة اللعب. "اللغة مرآة الخيال النفسي والاجتماعي (...إنها اللعب (...)) الإنسان حيوان لا يلعب وحسب، بل يعرف كيف يلعب، لا بل له موهبة اللعب"².

وإذا كنا نعلم القراءة التاريخية للإرث الفلسفي العتيق المنبثق من اليونان، نجد أن اللغة وهي: "لوغوس" تعني الفكر والخطاب. في السبق التعبيري الإنساني اقتصرت بداية على إصدار الأصوات والإشارات التي لم تتجاوز الحيز الغريزي، غير

1 - كلود حجاج، إنسان الكلام مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، تر: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، ص345.

2 - كلود حجاج، إنسان الكلام مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، المرجع السابق، ص346.

الخطاب والتلقي في الفلسفة، تطور اللغة والحجاج

أن الأمر سيؤول لا محال مآل التغير والتطور في الأساليب التعبيرية والتخاطبية نحو إنتاج الكلام وصناعاته صناعة معنى ومفاهيم تأصيلية تعكس اجتهاد الحيوانات العاقل الناطق في المفهوم الأرسطي المنطقي بأن أسس منظومة لغوية ترتكز على:

اللغة اللسان الكلام

كيان اجتماعي نظام ونسق. جماعة لسانية. ممارسة فردية.

بقراءتنا لهذه المنظومة اللغوية قراءة أرسطية نستند فيها إلى القياس الأرسطي، فإنها مقدمات ونتائج تقوم على حدود ثلاث: حد أكبر، حد أوسط، حد أصغر، أما عن الحد الأكبر: "اللغة"، الحد الأوسط: "اللسان"، الحد الأصغر: "الكلام. اللغة: صوت وإشارة، كلام وقول. في كليتها موجهة إلى ذوات أخرى فضلا عن الذات المتكلمة، تنسج حوارا مع ذاتها وتقتنع به ثم بعدها صوب الذوات الأخرى. إن العملية هذه تحدد أنطولوجية اللغة وفاعليتها في صناعة الكلام وليس الاختصار على المواضعة عليه، أي أن هناك صناعة خطاب لها أدبياتها ودعائهما. فما تأسيس اللغة والخطاب إلا للتفاهم وللتخاطب.

3. اللغة وضرورة الحجاج: بما أن إنتاج اللغة اقترن أساسا بالتفاهم، فإنه يفتح قوس وواقع اللاتفاهم أو انحرافه عن قصده. إننا نحاور أنفسنا كما نحاور غيرنا، نستخدم وسائل خطابية عديدة تتأرجح بين التزييق والتنويق (التأثير النفسي) وبين التوضيح والدفاع (الإقناع العقلي). لذا، وجب تحري الخطاب اللغوي المؤسس المبلغ للمحتوى أو الرسالة أو الرأي أو الطرح الذي يرتبط بالذات المخاطبة للوجود الآخر المخاطب كذات متجهة بخطابها إلى موضوع. ندفع بقولنا إلى الظهور وتقديمه للتعبير والإيضاح المعقول المقبول. وحصرنا لمجال البحث أي البحث الفلسفي سواء تعلق الأمر بالمجال الأخلاقي، الحقوق، الواجبات السياسي، القضائي، الإشهاري... جميعا تتواجد في أهم مباحث الفلسفة: "الأكسيولوجيا":

نظرية القيم" بعيد عن المطلق، ارتباطا أكثر بالإنساني أي القيمي المجسد لقيمة الطرح وفاعليته من حيث إجرائيته أكثر. فمن النظري نحو العملي ومدى قدرة الاستدلال عليه أي إثباته.

فالأطروحات الفلسفية متباينة عن تلك النظريات العلمية من حيث كفاءة المخاطب على تبليغ المراد للمخاطب الحامل للرأي المختلف والمعارض والتي يحددها السياق المدعوم بالإثبات والحجاج عليه فضلا عن أشكلته وبحثه في شموليته. وعليه تصبح العملية الاستدلالية مركز فعل التفلسف الموجه إلى المخاطب أو الجمهور الكوني للإقناع الذي من خلاله يتجسد العقل في روح الفيلسوف حسب (شاييم بيرلمان). عندئذ نقول أن " الطريق الوحيد لإثبات الأطروحات الفلسفية إنما هو الاستدلال...كما يقول (أرسطو): "إنما نتعلم إما بالاستدلال وإما بالبرهان. فالبرهان هو من المقدمات الكلية والاستقراء هو من الجزئية" (من كتاب التحليلات الثانية- الترجمة العربية- تحقيق بدوي ع)³.

القصد هنا يتحدد بالوسائل الخطابية المشار إليها سابقا في: "الحجاج" وصناعة "الخطاب"، دفاعا عن رأي، قول أو طرح على مستوى جميع الألسن واللغات الطبيعية لدى البشرية باعتبار الحجاج أهم إنتاجاتها الممكنة. لذا، "ينبغي لكل ثقافة أيضا أن تسند له مكانة لأجل أن تتمكن هذه الطاقة اللغوية من النمو(...) كان من اللازم إذن توقع أن يتم إدراك الرأي بوصفه موضوع جدل جماهيري وتحوله إلى مؤسسة"⁴.

3 - محمود يعقوبي، "أصول الخطاب الفلسفي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص73.

4 - فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مهبال، عبد الواحد التهامي العلمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 2013، ص31.

الخطاب والتلقي في الفلسفة، تطور اللغة والحجاج

فلا ضير البتة من أن يصير النزوع نحو الإقناع مقصد الخطيب والمخاطب في تلقي الخطاب، مسؤولية أخلاقية ومرمى معرفي ومشروعية ومصداقية؛ توضع له أدبيات التلقي وتقبل الرأي من حيث سطحيته الظاهرة بدلالاته المتجلية في قول وتفسير وتأويل بواطن القول. "ولما كان الاختلاف في الرأي سببا في الدخول في ممارسة الحجاج، احتاج المتكلم إلى التزاوج ومواصلة التزاوج مع الغير"⁵. أي فتح مجال التواصل والتفاعل بين كافة الذوات والألسن وسائر الخطابات والنصوص.

4. التطور التاريخي للخطاب والحجاج: قبل الخوض في تاريخية الخطاب والحجاج، لابد أن نهتم بمدلولاتهما المعرفية والثقافية التي أنتج خلالهما الخطاب الإنساني والحجاج واقتحامهما مجالات الإمكانيات اللغوية.

أن نقول شيئا، فهذا يعني أن ننتج قولاً، وأن ننتج قولاً، فهذا يعني أن ننتج خطاباً، وأن ننتج خطاباً، فهذا يعني على وجه الخصوص أننا نخوض في مسائل تمس المرء في ذاته وذاتيته وتمس سائر الوجود الإنساني في موضوعيته. فلابد من أن صناعة الكلام والخطاب تتوقف على مدى فاعلية اللغة المستخدمة، بل وفي الكيفية التي تشير إلى مدى تأثيرها على الذوات والعقول. سواء اللغة المتوارثة أو اللغات المكتسبة في سائر العلوم والمعارف. لأنه وبطبيعة الحال، سينصب الاهتمام بأنسنة القول وبمشروع أنسنة الإنسان في التمازج المؤسس الفعال والمعقول. أي الانتقال لممارسة التحاجج والحجاج الفلسفي. فالفلسفة ليست مجرد نظرة تأملية بقدر ما هي ممارسة واقعية في واقع مفكر في غرار العلوم وليست فقط مجرد

5 - طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، متديات سور الأبيكية، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس العاشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص16.

آراء يعتد بها قائلوها، بل إنها من عمق الاستدلالات. "لا يدرك الجميع أن الحجاج العقلي يشكل قدرا كبيرا من اهتمام الفلسفة"⁶.

ولعل الاستقلالية التي تتمتع بها الفلسفة عن العوم الوضعية في كونها تتعامل مع المحتمل إلى أن يتم الاذعان إليه. ليقول الحوار الداخلي المرتبط بالخطيب وحوار خارجي يمتد خارج النص ليمس المتلقي الكوني النكرة، ليظهر مدى حيوية النص وديناميته في التبليغ والإقناع العقلي. فمسرح التمازج يقترب بالغاية التي أنشئ لأجلها وبالمجال الأنطولوجي الذي وجد فيه وتحدد بها في جدوى إقامة التفاعل بين اللغات البشرية جميعها من حيث التأثير وتبنيه في حلقة التواصل. "إن اللغة الطبيعية هي وسيلتنا في التواصل الكوني من حيث المبدأ. هذا يعني أنها لغة ينبغي أن تكون قادرة على التعبير عن أية فكرة كانت"⁷.

فهذا تحدي إمكان وإثبات أمام اللغة الرمزية بما تنقيد به من نشاط إنساني متزايد في وضع الكلام الإنساني الذي ما فتى يتأصل ويتكون في رحم الاحتمال المتموقع في حضن الإنسان. فالإقناع تشكل في عمق اللغة الطبيعية التي تؤطرها الآراء والاحتمالات، لا في رحم القطع والإثبات كما في المعارف والعلوم.

ومنه، يصبح من المعقول أن تحتل اللغة مكانة ومجال دراسة إنجاز القول والتبليغ في مستوى أعلى في سلم الدراسات اللغوية التي تبحث كيفية بناء المعنى وتبليغه للغير كمهمة إنسانية جلية تفترض أخلاقيات خاصة في التواصل الثقافي الحضاري الذي يرتبط بالبدايات الأولى للإنسانية في شكل من التوافق بين النص والخطاب الذي يتحدد في مجال اللغة والتعبير. لتكون مثل هاته الرسالة

6 - باجيني جوليان، فوسل بترس، متاع الفيلسوف، تر: الحصادي نجيب، دار معنى للنشر، ط1، ص21.
7 - شايم بيرلمان، جدل المنطق الشكلي والحجاج الفلسفي، تر: أنوار طاهر، منديات الحكمة التعليمية، ص02.

الخطاب والتلقي في الفلسفة، تطور اللغة والحجاج

الإنسانية رسالة كونية تشمل النوع الإنساني في بعده الروحي وفي بعده المادي. و"(...) لأن المتطلبات المنهجية المتعلقة بتواصل ثقافي معقول / ومجد إلى حد كبير إنما تنمو بل وتفوق أهميتها جميع الاعتبارات الأخرى⁸.

تبلور الحجاج في بداياته الأولى في الفترة اليونانية وقد ارتبط تاريخيا بالأساليب اللغوية التي كانت تضعها الحركة السفسطائية في إقناع متعلميها الذين لقنهم فنون الخطابة. ليلقبوا بـ: معلمي الخطابة والبيان، ليقع التغيير مع (سقراط) الذي جعل من الحوار مع العامة أسلوباً، تجاوز فيه احتكار السفسطائيين للمعرفة والخطابة بأن أصبحت المعرفة هنا تطلب لذاتها باعتبارها غاية بعيدة عن أية منفعة ذاتية، وتبني الجدال. فما كان لـ: (أفلاطون) من بعد أستاذه (سقراط) ومن بعده (أرسطو) وانشغاله بالخطابة التي أولى لها الكثير من الاهتمام والاعتبار، ثم إلى فن المناظرة مع الفلسفة الإسلامية والانتصار للرأي ومع ترجمة (ابن رشد) لخطابة (أرسطو) وتلاشي حضورها أمام الفلسفة العقلية والمعرفة العلمية أي فترة ركود طويلة فرضتها النزعة الوضعية إلى عودة الاهتمام بحقل البلاغة الجديدة: الحجاج.

5. فيما يتحدد مجال الحجاج؟

بالنظر إلى طبيعة التفكير الفلسفي ونمطه البحثي ومنهجه التأملي، فإنه يصبح من الضروري جداً أن نستذكر باستمرار في أن الفلسفة تفترض ابتداء استحالة المعرفة فهي لا تعنى بثنائية الخطأ والصواب بل ينصب اهتمامها على كفاءة الأداء والقيمة المترتبة عنه. هذا لا يعني بالضرورة عجزها، بل إنه جوهرها الذي يمنحها قداستها والروح التي تبث في روح المتفلسف البعث المتجدد في

8 - شايم بيرلمان، جدل المنطق الشكلائي والحجاج الفلسفي، المرجع نفسه، ص02.

التعامل مع القضايا تعاملًا يكشف المزيد انطلاقًا من مبدأ لانهائية المعرفة. فكل بحث إن هو في الحقيقة إلا قبس من الحقيقة لا نورها الأبدي. من هذا الباب اعتبر (فتشنتاين) الفلسفة مجرد إيضاحات، لأنها تتعامل مع "الرأي" و"المحتمل" لا "المطلق" و"الثابت" وليس هذا ادعاء للحقيقة ولا امتلاكها في طرح الفيلسوف. فهذا من اختصاص العلوم لا الفلسفة. فالأطروحات الفلسفية منذ تأسيسها الأول ترتبط بالمحتمل المرتبط باللغة الطبيعية لا اللغة الرمزية. لذلك ارتبطت الفلسفة بالإقناع الذي يحدد مجال الحجاج الذي "لا يسعى إلى إثبات صفات موضوعية كمبدأ الحقيقة كما هو الحال مع البرهان (...). إنما يتعلق الأمر في الحجاج بكيفية إقناع الجمهور المخاطب"⁹.

عندما نبحت تجليات الحجاج في القول نجده يتأسس ضمن تقنيات وأبجديات منوط بها أن تؤدي وظيفة اللغة التعبيرية والإخبارية وزيادة على هذا وظيفتها الحجاجية. هذا يعكس ميلاد وانبعث الحجاج مجددا في حقل الدراسات اللغوية والبلاغية في الآونة الأخيرة وحلوله في ميادين عدة على غرار ميدان البلاغة والدرس البلاغي ومجال التعليم والسياسة إلى المجال القضائي في كيفية الإصغاء واستنباط الأحكام من القوانين في القضايا والجنايات المحدثّة. هنا لا يعدو الحجاج أن يرتبط بمدى إجرائيته في كيفية صياغة الحجة وتلقيها وتداولها لدى الجمهور وفق ما يستدعيه جنس الخطاب. إن "ما تدرسه نظرية الحجاج في اللغة، فهو اشتغال الأقوال داخل خطاب ما أي هو تسلسل الأقوال وتوالها داخل الخطاب بصورة استنتاجية، وبعبارة أخرى إنها تدرس منطق الخطاب"

9 - شايم بيرلمان، جدل المنطق الشكلي والفلسفي، المرجع السابق، ص 05.

10 - ديكرو، السلميات الحجاجية، ص 07-10، عن: أبو بكر العزاوي، منتديات الأثرية.

الخطاب والتلقي في الفلسفة، تطور اللغة والحجاج

ما جرت الإشارة إليه يتلخص فيما يعرف في البلاغة الجديدة والتقنيات الخطابية ب: "السلم الحجاجي"، الذي يتأصل في مستويات الخطاب فيما تحويه الحجة من قوة حجاجية تبعث على تبنيها. بمعنى قيمة الحجة والحجاج عموما إنما ترتبط بالنتيجة التي يجري الإذعان إليها وبشدة الإذعان المتعلق دائما بالرأي والمحتمل كما جرت الإشارة إليه في السابق. زيادة على هذا، الحجة تتخذ طابعا دلاليا يظهر في القول وإن توارى في دلالته، فإنه حتما يظهر في السياق الذي يحدد شدة مدى قوة الحجة المعتمدة أو ضعفها. ليتم استبدالها أو تعديلها واخضاعها لمنطق الخطاب وجنسه. بالتقيد بقدرة الحجة على بلوغ التأثير والإقناع والإذعان لها فيما يمكن اعتباره ترتيبا للحجج وأولويتها في نسج الخطاب. "وبعبارة أخرى فإن السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج"¹¹.

بهذا تتخطى الفلسفة الطابع النمطي في المعرفة العلمية والعلوم الاجتماعية، والتي قد الحق بها أنها لا ترتقي إلى مستوى الدقة التي جعلت العقل واحدا في معادلة رياضية. فموضوع الفلسفة ليس ينحصر في الأفكار والنظريات، فهذا تغيب كلي لدور الفلسفة، ذلك أنها تعجز عن الخوض الجاد والهادف في الطرح وبأنها تمتاز بالسطحية لا بالعمق. "وأن هذه الأفكار أو النظريات مجرد آراء. والحال أن الفلاسفة يطرحون مثل هذه النظريات، غير أن قوتها ونطاقها وطبيعتها التي تميزها عن الآراء غالبا ما تنتج عن كونها مستمدة من حجج معقولة مؤسسة على مقدمات مقبولة"¹².

11 - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006، ص101.

12 - باجيني جوليان، فوسل بتيرس، متاع الفيلسوف، مرجع سابق، ص21.

ومنه، يصبح البحث الفلسفي ميدانا خصبا للاستدلال والحجاج والتفاعل بين الأطراف لتبليغ الآراء والتصورات وممارستها فعليا في التواصل. فالتحاجج يعني التواصل بين الملقى "الخطيب" والمتلقي "المخاطب".

نحن هنا نشير إلى السلم الحجاجي الذي يستخدمه المحاجج والفيلسوف بالنظر إلى طبيعة الفلسفة التي تقدم الرأي المؤسس المدعمة بالحجة والتي يقصد منها إنما خلق نظام استراتيجية استخدام الحجج بما تقتضيه الضرورة الحجاجية ومنطق الخطاب المحدد والمتحكم بمستويات الحجج والتبليغ الذي يمارسه الخطيب "الملقى" في صوغ الخطاب التوجه إلى المخاطب "المتلقي". وعليه، يصبح السلم الحجاجي العلاقة الترتيبية للحجج والنظر في أولويات الترتيب التي تفرضها العملية الحجاجية، حينئذ تظهر قدرة الخطيب في تحديد مستوى اقتناع الجمهور. هذا من جانب، ومن جانب آخر تعكس درايته بمستوى المتلقي ووجهته في تسديد وجهته الفكرية. إنه انبعث جديد في روح وعقل الخطيب والفيلسوف. و"الحجاج: في الفرنسية: مفردة تستخلص من حاج ولا تعني عدا: العلاقة ببنية الحجة المناسبة التي تكون لدعم الاستدلال"¹³.

6. لماذا الحجاج الفلسفي؟

"يعد الحوار أنجع سبيل ينتهجها مرسل الخطاب لدراسة الحجج ومواقف مخاطبيه بطريقة مقبولة تمنح حجاجه في النهاية النفاذ والمصادقية، وهما أمران لا يتمان إلا عن طريق الحوار المؤسس على الاحترام والحقيقة، والبعيد عن القسر والاحتياال"¹⁴ في هذه النقطة تحديدا، يجدر التنبيه على

13 - Christian Plantin. Dictionnaire de l'argumentation une introduction aux études d'argumentation. ENS, édition. 2016, p65.

14 - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة الجديدة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008، ص119.

الخطاب والتلقي في الفلسفة، تطور اللغة والحجاج

الضرورة الأخلاقية المحيطة بالحجاج؛ فلطالما ارتبطت به السمعة السيئة التي أحيطت به وبالحركة السفسطائية التي لم تقصد من الحقيقة غايتها وإنما نفعتها وكذلك الأساليب الحجاجية التي اقترنت بالأراء غير المؤسسة من وجهة نظر العلوم الوضعية التي أسهمت في تدهور استعمالات الحجاج، وتأصل الحقيقة في المطلق لها عقلانيتها". ولكن للرأي أيضا عقلانيتها الخاصة¹⁵ في أخلاقيات التبليغ والإذعان ومع ما يفرضه القول في طرح المتعارض والمختلف.

إن الحجاج من حيث ارتباطه بالفلسفة بجانبه الأخلاقي والقيمي يتحدد و هو "وجهة نظر تفترض دائما وجود وجهة نظر أخرى ممكنة (وهو ما يقتضي وجود الحجاج) أو وجهة نظرتتعارض مع آراء أخرى في سياق جدالي مثلا"¹⁶. إذ هذا الارتباط شديد الوثوق بمعترك الحياة الإنسانية بشتى مشاربها. فالتوجه إلى هذا الأمر تحديدا لا يعدو أن يكون اعترافا صريحا باشتغال حقل الحجاج بحقل الإنسان الذي يشترط انسجام الحجج المقدمة مع الرأي الذي يشكلها في توافق المنطلق والنتائج في العملية الاستدلالية بين الخطيب والمخاطب. هنا فعليا تبرز مساحة التفاعل وفعل التواصل بين الطرفين وتعدد الأطراف". لذا لا غرو أن يحتل الحجاج ونظريته بؤرة مشعل التداخل المعرفي وخاصة الحقل الإنساني"¹⁷.

وحقل الإنسانية هذا، لا بد له من أن يتعزز وجوده فعليا من خلال الإنتاج الذي يقدمه سواء في المعرفة أو الفلسفة والعلوم الإنسانية عموما. وبما أن

15 - فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، مرجع سابق، ص46.

16 - فيليب بروتون، مرجع سابق، ص45.

17 - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة الجديدة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، مرجع سابق، ص175.

الحجاج يكون في اللغة الطبيعية، وبما أنه ترعرع في أحضان الفلسفة باعتبار أن الفيلسوف: الحكيم والمخاطب الذي يهتم بالإقناع وعليه توخي الحجة في تقديم الرأي لا الحقيقة. فإنه ادعاء يمس الفلسفة ويسيء إليها وإلى تساؤلاتها الأصيلة. إن الفيلسوف هنا يعتمد الخطابة والبلاغة في توجيه الرأي وتصويبه. فالفيلسوف محاجج ينطلق في نصه من: الأشكلة والمفهمة والمحاججة. فيكون خطابه مندرج ضمن النصوص الحجاجية التي تحمل رسائل تختفي وتظهر للرأي والسامع والمتكلم إليه أي المخاطب في كليته. "ومعنى النص الفلسفي نص حجاجي هو أن كل ما في النص الفلسفي هو خدمة الحجاج، أي يؤدي وظيفة حجاجية"¹⁸ تتطور إلى البعد التواصلية كمطلب أخلاقي.

7. الخاتمة: ما الذي نريد قوله؟

الإنتاج الفلسفي إنتاج أصيل يبحث عن التجلي باستمرار وما كان ليكون له هذا لولا اللغة التي ارتبطت بالأساس بالقدرة الإنتاجية والإبداعية الخطابية. فالبدء الأول، كان فكرة والفكرة أصبحت واقعا تتألف فيه تموجات الوجود الأصيل بالوجود المتأصل فيه من خلال وضع الأساليب التعبيرية العديدة التي تتطور وتتطور وتتعدد بهذا إسهاماتها الفكرية في إنتاج الخطاب الرامي للتواصل الثقافي والحضاري في المعمورة بعيدة عن التجنيس أو التدنيس. إنها تتلخص في كون ان الذات الإنسانية تبحث عن المستمع والمتلقي وترغب الاستماع إليها والاستمتاع بفض القول والإقناع. كلاهما تضمنه الأساليب الحجاجية المتضمنة في الوظيفة الحجاجية للغة الطبيعية البشرية. فما جمالية القول إلا إنه بدأ حرف وأصبح نصا حمل خطابا يلمس الميادين جميعها ولا يستثني منها ميدانا. لهذا،

الخطاب والتلقي في الفلسفة، تطور اللغة والحجاج

معقول جدا أن نجعل الحجاج لغة الإنسان وطبيعة تحدد جوهره في البعد
التواصلي المتضمن للحجة العقلية التي ترتبط بالفيلسوف الخطيب. فالخطابة
من منظور أرسطو أو كما يسميها الريطوريا: "قوة تتكلف الاقناع الممكن في كل
واحد من الأمور المفردة"¹⁹.

19 - أرسطو، الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ص9.

5. قائمة المراجع:

1. أرسطو طاليس، سنة 1979، *الخطابة الترجمة العربية القديمة*، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، لبنان، دار القلم (الخطابة الترجمة العربية القديمة، 1979).
2. أبو بكر العزاوي، سنة 2006، *اللغة والحجاج*، الطبعة 1، منتديات سور الأزيكية (اللغة والحجاج، 2006).
3. أبو الزهراء، سنة 2008، *دروس الحجاج الفلسفي*، مجلة الشبكة الالكترونية فيلو ميتريل الالكترونية (دروس الحجاج الفلسفي، 2008).
4. باجيني جوليان، سنة 2021، *فوسل بيتريس*، تر. الحصادي نجيب، الطبعة 1، دار معنى للنشر (فوسل بيتريس، 2021).
5. شايم بيرلمان، *جدل المنطق الشكلي والحجاج الفلسفي*، تر. أنوار طاهر، منتديات الحكمة التعليمية، مجموعة الحداثة وما بعد الحداثة (جدل المنطق الشكلي والحجاج الفلسفي).
6. عبد الرحمن طه، سنة 2006، *التواصل في الحجاج*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، طبعة 1، الرباط (التواصل في الحجاج، 2006).
7. فيليب بروطون، سنة 2013، *الحجاج في التواصل*، تر. محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، طبعة 1 المركز القومي للترجمة (الحجاج في التواصل، 2013).
8. كلود حجاج، *انسان الكلام مساهمة لسانية في العلوم الانسانية*، تر. رضوان ظاظا، المنظمة الغربية للترجمة، الطبعة 1، بيروت (انسان الكلام مساهمة لسانية في العلوم الانسانية).
9. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، سنة 2008، *الحجاج في البلاغة المعاصرة*، بحث في بلاغة النقد المعاصر، طبعة 1، دار الكتاب الجديد المتحدة. (الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، 2008).
10. يعقوبي محمد، سنة 1995، *أصول الخطاب الفلسفي*، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية (أصول الخطاب الفلسفي، 1995).

11. Christian Plantin, année 2016, *Dictionnaire de l'argumentation une introduction aux études d'argumentation*. ENS édition (Plantin, 2016).